

الحذف والإضمار في النحو العربي (دراسة في المصطلح)

د. عماد مجيد علي

مدرس

جامعة كركوك – كلية التربية

الخلاصة

من دقائق اللغة، وعجيب سرها، وبديع أساليبها، أنك ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفت أحد ركني الجملة، أو شيئاً من متعلقاتها، فإن أنت قدرت ذلك المحذوف، وأبرزته صار الكلام إلى عت سفساف ونازل ركنك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولاً .
ولعل من أهم دواعي الحذف عند العرب هو الإيجاز والاختصار الذي يُكسب العبارة قوةً ويجنبها الثقل .

ويؤكد أغلب النحاة والبلاغيين أن بلاغة الكلام ودلالاته على المعاني إنما تكمن في الحذف والإيجاز ، وبناءً على ذلك فإنهما – عندهم – أبلغ من الذكر وأصاله الأسلوب . وقد عقد له النحاة والبلاغيون أبواباً واسعةً بيّنوا من خلالها جزالة الأسلوب القرآني وإعجازه .
وقد وجدت في هذا البحث أن النحاة والبلاغيين يفرقون بين الحذف والإضمار ، إذ ذكروا "الزرکشي" أن الإضمار عندهم يطلق على ما يبقى له أثر في اللفظ ، والحذف يطلق على ما لا يبقى له أثر في اللفظ .

وفي الحقيقة، إنني لم أجد نحويّاً أو بلاغيّاً راعى هذا العرف أو التزمه فيما يجريه من توجيه ، أو تأويل أو إعراب جملة ، بل كثيراً ما يوضع الحذف موضع الإضمار ، والقول نفسه ينطبق على الإضمار وهذا ما وجدته سائراً في كتب الأقدمين من نحاة أو بلاغيين ، وبعد التمحيص والتدقيق في ذلك تبين لي أن أكثر ألفاظ النحويين محمولة على التجاوز والتسامح ، لا على وجه الحقيقة ؛ لأن مقصدهم التفریب على المبتدئين ، والتعلم للناسئين ، وهذا لا يعني في الوقت نفسه أنهم لا يفرقون بين المصطلحين كما فهم "ابن مضاء القرطبي" ، وتبعه في ذلك الدكتور "عبد الستار الجواري" ملتزماً رأيه في كثير من بحوثه ومقالاته .

وقد جاء بحثي هذا لكي يبرأ القدماء ويبرأ ساحتهم مما نسب إليهم ، وقد عززت دفاعي عنهم بنصوص رصينة لا يشوبها غبار ، أو ينخلها شك . أسأل الله أن ينال بحثي القبول والثوفيق ، والله من وراء القصد .

المقدمة

مِنْ دَقَائِقِ اللَّغَةِ، وَعَجِيبِ سِرِّهَا، وَبَدِيعِ أَسَالِيْبِهَا، أَنْتَ تَرَى الْجَمَالَ وَالرُّوعَةَ تَتَجَلَّى فِي الْكَلَامِ إِذَا أَنْتَ حَدَفْتَ أَحَدَ رُكْنَيْ الْجُمْلَةِ، أَوْ شَيْئاً مِنْ مُنْعَلَقَاتِهَا، فَإِنَّ أَنْتَ قَدَرْتَ ذَلِكَ الْمَحْدُوفَ، وَأَبْرَزْتَهُ صَارَ الْكَلَامُ إِلَى غَتِّ سِفْسَافٍ وَنَازِلِ رِكْنِكَ لَا صِلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْلاً .
وَلَعَلَّ مِنْ أَمِّ دَوَاعِي الْحَدْفِ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ الْإِيْجَازُ وَالْإِحْتِصَارُ الَّذِي يُكْسِبُ الْعِبَارَةَ قُوَّةً وَبُجْنَبَهَا الثَّقَلُ .

وَيُوكِّدُ أَغْلِبُ النُّحَاةِ وَالبَلَاغِيِّينَ أَنَّ بِلَاغَةَ الْكَلَامِ وَدَلَالَاتِهِ عَلَيِ الْمَعَانِي إِنَّمَا تَكْمُنُ فِي الْحَدْفِ وَالْإِيْجَازِ ، وَبِنَاءِ عَلَيِ ذَلِكَ فَانْتَهَمَا - عِنْدَهُمْ - أُنْبَلُغُ مِنَ الذِّكْرِ وَأَصَالَةَ الْأَسْلُوبِ . وَقَدْ عَقَدَ لَهُ النُّحَاةُ وَالبَلَاغِيُّونَ أَبْوَاباً وَاسِعَةً بَيَّنُّوا مِنْ خِلَالِهَا جَزَالَهَ الْأَسْلُوبِ الْفَرَانِيَّ وَإِعْجَازَهُ .
وَقَدْ وَجَدْتُ فِي هَذَا الْبَحْثِ أَنَّ النُّحَاةَ وَالبَلَاغِيِّينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَدْفِ وَالْإِحْتِصَارِ ، إِذْ ذَكَرَ "الزركشي" أَنَّ الْإِحْتِصَارَ عِنْدَهُمْ يُطْلَقُ عَلَيِ مَا يَبْقَى لَهُ أَنْرٌ فِي اللَّفْظِ ، وَالْحَدْفُ يُطْلَقُ عَلَيِ مَا لَا يَبْقَى لَهُ أَنْرٌ فِي اللَّفْظِ .

وَفِي الْحَقِيقَةِ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ نَحْوِيّاً أَوْ بِلَاغِيّاً رَاعِيَ هَذَا الْعُرْفَ أَوْ التَّرَمُّهَ فِيمَا يُجْرِيهِ مِنْ تَوْجِيهِ ، أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ إِعْرَابِ جُمْلَةٍ ، بَلْ كَثِيراً مَا يُوضَعُ الْحَدْفُ مَوْضِعَ الْإِحْتِصَارِ ، وَالْقَوْلُ نَفْسُهُ يُنْطَبِقُ عَلَيِ الْإِحْتِصَارِ وَهَذَا مَا وَجَدْتُهُ سَائِراً فِي كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ مِنْ نُحَاةٍ أَوْ بِلَاغِيِّينَ ، وَبَعْدَ التَّمْحِيصِ وَالتَّدْفِيقِ فِي ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ أَكْثَرَ أَلْفَافِ النُّحَوِيِّينَ مَحْمُولَةٌ عَلَيِ التَّجَاوُزِ وَالتَّسَامُحِ ، لَا عَلَيِ وَجْهِ الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّ مَقْصَدَهُمُ التَّقْرِيبَ عَلَيِ الْمُبْتَدِئِينَ ، وَالتَّعَلُّمَ لِلنَّاشِئِينَ ، وَهَذَا لَا يَعْنِي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمُصْطَلَحِينَ كَمَا فَهَمَ "ابن مضاء الفرطبي" ، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ الدُّكْتُورُ "عبد الستار الجواري" مُلتزماً رَأْيَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ بُحُوثِهِ وَمَقَالَاتِهِ .

وَقَدْ جَاءَ بَحْثِي هَذَا لِكَيْ يُبَيِّرَ الْقُدَمَاءَ وَيُبَيِّرَ سَاحَتَهُمْ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ عَزَزْتُ دِفَاعِي عَنْهُمْ بِنُصُوصِ رَصِينَةٍ لَا يَشُوبُهَا غَبَارٌ ، أَوْ يَخْلَلُهَا شَكٌّ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنَالَ بَحْثِي الْقَبُولَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ .

التَّمْهِيدُ : ((فِي الْحَدْفِ وَدَوَاعِيهِ))

تَوْطئة :

الْحَدْفُ لُغَةً : حَدَفَ الشَّيْءَ يَحْدِفُهُ حَدْفًا : قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ ، وَمِنْهُ حَدَفْتُ الشَّعْرَ ، إِذَا أَخَذْتُ مِنْهُ (١) .
وَفِي الْأَصْطِلَاحِ النَّحْوِيِّ : إِسْقَاطُ كَلِمَةٍ أَوْ أَكْثَرَ بِشَرْطِ الْأَيْتَاطِ الْمَعْنَى ، أَوْ الصِّيَاغَةِ (٢) . أَوْ هُوَ إِسْقَاطُ الشَّيْءِ لَفْظاً وَمَعْنَى (٣) . وَقِيلَ : ((إِسْقَاطُ كَلِمَةٍ بِلَا اجْتِزَاءٍ عَنْهَا بِدَلَالَةٍ غَيْرِهَا مِنَ الْحَالِ أَوْ فَحْوَى الْكَلَامِ)) (٤) . وَهُوَ أَسْلُوبٌ مُحَدَّدٌ مِنْ أَسَالِيْبِ التَّأْوِيلِ يَرْتَكِزُ عَلَيِ دَعْوَى إِعَادَةِ صِيَاغَةِ الْمَادَّةِ اللَّغَوِيَّةِ وَلَا سِيَّمَا النُّصُوصِ الْمُخَالَفَةِ لِقَوَاعِدِ النَّصْرِفِ الْإِعْرَابِيِّ (٥) . وَهَذَا مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ ، إِذْ كَانُوا يُجَوِّزُونَ حَدْفَ مَا كَانَ مَعْلُوماً فِي الْكَلَامِ (٦) ، وَهُوَ مِنْ شَجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا وَصَفَهُ "ابن جنِّي" (ت ٣٩٢هـ) (٧) ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَنِ لَفْظِهِ (٨) .

الْحَدْفُ فِي الْعَرَبِيَّةِ : ((يَابٌ دَقِيقُ الْمَسَلِّكِ ، لَطِيفُ الْمَأْخِذِ ، عَجِيبُ الْأَمْرِ ، شَبِيهُ السَّحْرِ ، فَإِنَّكَ تَرَى فِيهِ تَرَكَّ الذِّكْرِ أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ ، وَالصَّمْتُ عَنِ الْإِفَادَةِ أَرْيَدٌ لِلْإِفَادَةِ ، وَتَجْدُّكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ ، وَأَنْتَ مَا تَكُونُ بَيَاناً إِذَا لَمْ تَبَيِّنْ)) (٩) .

وَهُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ تَكْتِيفِ التَّرْكِيبِ الْعَرَبِيِّ ، وَإِيْجَازِهِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ ثَقَلِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ التَّخْفِيفُ مِنْ عِبءِ الْحَدِيثِ ، وَفِي الْإِيْجَازِ تَكْمُنُ الْبِلَاغَةُ ، وَيَسْمُو الْكَلَامَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قُوَّةِ السَّحْرِ - فِي التَّأْيِيرِ - وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ مَعَ الْحَدْفِ أَشَدَّ وَقَعاً فِي النَّفْسِ (١٠) .

وَرُبَّ صَمْتٍ أَفْصَحَ مِنَ الْكَلَامِ وَرَمَزَ أَلْمُ مِنْ لَدَغِ الْحُسَامِ^(١١) ، ((وَقَدْ حَذَفَتِ الْعَرَبُ الْجُمْلَةَ وَالْمُفْرَدَ وَالْحَرْفَ وَالْحَرَكَةَ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا كَانَ فِيهِ ضَرْبٌ مِنْ تَكْلِيفِ عِلْمِ الْغَيْبِ فِي مَعْرِفَتِهِ))^(١٢) .

وَأَظَاهِرَةُ الْحَذْفِ مِنَ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِيهَا اللُّغَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، وَتَظْهَرُ مَظَاهِرُهَا فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ أَكْثَرَ وَضُوحاً ، مِثْلَ الَّذِي نَجِدُهُ فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ ؛ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ خِصَائِصِهَا الْأَصِيلَةِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الْإِيْجَازِ وَالْحَذْفِ^(١٣) .

وَلَعَلَّ أَهَمَّ دَوَاعِي الْحَذْفِ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ الْإِيْجَازُ وَالْإِخْتِصَارُ الَّذِي يُكْسِبُ الْعِبَارَةَ قُوَّةً وَيُجَنِّبُهَا التَّقَلُّ وَالْغَلُّ ، وَذَلِكَ لِذِلَالَةِ فَحْوَى الْكَلَامِ عَلَى الْمَحْذُوفِ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ^(١٤) .

عَلِمْنَا أَنَّ النِّحَاةَ وَاللُّغَوِيَّيْنَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الذِّكْرُ ، وَلَا يَصِحُّ حَذْفُ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ^(١٥) ، سِوَاكَ أَنْ هَذَا الدَّلِيلُ صِنَاعِيًّا تَقْتَضِيهِ الصِّنَاعَةُ النَّحْوِيَّةُ ، أَمْ غَيْرِ صِنَاعِيٍّ (مَعْنَوِيٍّ) يَقْتَضِيهِ مَعْنَى الْكَلَامِ ، وَبِدَلَالَةِ قَرِينَةٍ مَقَالِيَّةٍ ، أَوْ جَالِيَّةٍ عَلَى الْمَحْذُوفِ أَدْرَكْنَا أَنَّ الْحَذْفَ طَارِئٌ يَعْضُضُ فِي الْكَلَامِ خِلَافاً لِلْأَصْلِ ، وَإِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْحَذْفِ وَعَدَمِهِ كَانَ الْحَمَلُ عَلَى عَدَمِهِ أَوْلَى ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ التَّغْيِيرِ^(١٦) ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ "سِينِيَوِيَّةُ" (ت ١٨٠ هـ) : ((اَعْلَمُ أَنَّهُمْ مِمَّا يَحْذِفُونَ الْكَلِمَ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ فِي الْكَلَامِ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَيَحْذِفُونَ ، وَيُعْوِضُونَ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَصْلُهُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُسْتَعْمَلَ حَتَّى يَصِيرَ سَاقِطاً))^(١٧) .

وَيُؤَكِّدُ أَغْلَبُ الْبَلَاغِيِّينَ وَالنِّحَاةِ أَنَّ بِلَاغَةَ الْكَلَامِ وَدَلَالَتَهُ عَلَى الْمَعَانِي التَّوَانِي إِتْمَانًا تَكْمُنُ فِي الْحَذْفِ وَالْإِيْجَازِ ، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ فَاتَّهَمَا - عِنْدَهُمْ - أُبْلُغَ مِنَ الذِّكْرِ وَأَصَالَةَ الْأَسْلُوبِ وَدِقَّتِهِ^(١٨) . وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ ((أَنَّ فِي النَّبِيَانِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ الَّذِي يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ دَغْدَغَةٌ وَنُبْلًا لَا يَكُونُ إِذَا لَمْ يَنْقَدِّمَهَا مَحْرُكٌ))^(١٩) ، وَالْحَذْفُ فِي الْكَلَامِ يُحَقِّقُ غَايَاتٍ قَدْ لَا يُحَقِّقُهَا الذِّكْرُ مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ وَجَمَالِهِ وَأَلْفَةِ النَّفْسِ لَهُ ، قَالَ الْجُرْجَانِيُّ : ((فَمَا مِنْ أَسْمٍ أَوْ فِعْلٍ تَجِدُهُ قَدْ حُذِفَ ثُمَّ أُصِيبَ بِهِ مَوْضِعُهُ ، وَحُذِفَ فِي الْحَالِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وَأَنْتَ تَجِدُهُ حَذْفَهُ هُنَا أَحْسَنَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَتَرَى إِضْمَارَهُ فِي النَّفْسِ أَوْلَى وَأَنْسَ مِنْ النَّطْقِ بِهِ))^(٢٠) .

وَفِي ذَلِكَ قَالَ الرُّمَائِيُّ (ت ٣٨٤ هـ) : ((وَإِنَّمَا صَارَ الْكَلَامُ فِي مِثْلِ هَذَا أُبْلَغَ مِنَ الذِّكْرِ ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَذْهَبُ فِيهِ كُلُّ مَذْهَبٍ ، وَلَوْ ذَكَرَ الْجَوَابَ لَقُصِرَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْبَيَانُ))^(٢١) . غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَصْدُقُ فِي مَوَاطِنَ مُخَصَّصَةٍ تُوجَدُ فِيهَا مُرَجَّحَاتُ الْحَذْفِ عَلَى الذِّكْرِ ، نَحْوُ : الْقَرِينَةُ الْمُسَوِّغَةُ لِلْحَذْفِ ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي يُعَيِّنُ الْمَحْذُوفَ وَمَكَانَهُ ، أَمَّا عِنْدَ وُجُودِ دَوَاعٍ مَقَامِيَّةٍ ، أَوْ سِيَاقِيَّةٍ تُوجِبُ الْحَذْفَ فَإِنَّ الذِّكْرَ فِي هَذِهِ الْحَالِ - إِذَا ذَكَرَ - أَوْلَى بِالْمَقَامِ وَأُبْلَغُ وَأَدْلُ عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ ، وَذِكْرُهُ أَرْجَحُ مِنْ حَذْفِهِ ؛ ((لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ لِلْحَذْفِ أَعْرَاضَهُ الَّتِي لَا يُغْنِي الذِّكْرُ غِنَاءَهُ فِيهَا ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ أَعْرَاضَهُ الَّتِي لَا يُغْنِي الْحَذْفَ غِنَاءَهُ فِيهَا ، وَإِنَّ الْبِلَاغَةَ مُرَاعَاةَ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ ، فَالذِّكْرُ فِي مَوَاطِنِهِ بَلِيغٌ مُطَابِقٌ ، وَالْحَذْفُ فِي مَوْضِعِهِ بَلِيغٌ مُطَابِقٌ))^(٢٢) ، لِمُقْتَضَى الْحَالِ الَّتِي عَلَيْهَا الْمُخَاطَبُ ، وَالْمَقَامُ الَّذِي سَبَقَ لَهُ الْكَلَامُ ، قَالَ "الزَّمْلَكَانِيُّ" (ت ٦٥١ هـ) : ((عَسَاكَ تَقُولُ : الْحَذْفُ مُخَلٌّ بِفَائِدَةِ الْمَحْذُوفِ وَتَعْقُلٌ عَمَّا لِلإِبْهَامِ وَالإِيْهَامِ مِنَ التَّفْخِيمِ وَالإِعْظَامِ ، وَرُبَّ صَمْتٍ أَفْصَحَ مِنَ الْكَلَامِ))^(٢٣) .

وَقَدْ أَفَاضَتْ كُتُبُ النَّحْوِ الْحَدِيثِ عَنِ الذِّكْرِ وَالْحَذْفِ ، غَيْرَ أَنَّهَا وَقَفَتْ عَلَى جَوَانِبِ الْوُجُوبِ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ فِيهِمَا ، وَلَمْ حَوُوا إِلَى جَوَانِبِ جَوَازِ الْعُدُولِ عَنِ هَذَا الْأَصْلِ بِإِشَارَاتٍ عَابِرَةٍ وَإِنْ كَانَتْ هِيَ الْأَدْعَى بِالرَّعَايَةِ ؛ لِأَنَّهَا الْمَيْدَانُ الَّذِي تَتَبَارَى فِيهَا الْمَوَاهِبُ ، وَتَكْمُنُ فِيهَا الدَّلَالَاتُ الْعَمِيقَةُ ، وَالْمَعَانِي الزَّائِدَةُ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى مِنَ الَّتِي يَحْتَاجُ اسْتِنْبَاطُهَا إِلَى ذِكَاةٍ وَمَهَارَةٍ فِي التَّوَجِيهِ ، وَذَوْقٍ مَرْهَفٍ ، وَعَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ فِي تَعْبِيرَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى مَا سَنَبِّهُهُ فِي هَذَا الْبَحْثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَإِذَا مَا عُدْنَا إِلَى أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوَجَدْنَا فِيهِ حَذْفًا ، فَلَسْنَا نَنْسِبُ الْحَذْفَ إِلَى مَضْمُونِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ ، وَإِنَّمَا نَنْسِبُهُ إِلَى تَرَكَيبِ اللُّغَةِ ، وَذَلِكَ ((بِأَنَّ اللُّغَةَ تَجْعَلُ لِلْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْمَاطًا تَرْكَيبِيَّةً مُعَيَّنَةً ، فَفِي الْجُمْلَةِ أَرْكَانُهَا وَمُكَمَّلَاتُهَا ، وَفِي عَنَاصِرِهَا مَا يَفْتَقِرُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَا لَا يَسْتَعْنِي الْمَعْنَى عَنْ تَقْدِيرِهِ ،

فَإِذَا لَمْ تَشْتَمَلِ الْجُمْلَةُ عَلَى أَحَدٍ أَرْكَانِيهَا ، أَوْ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى ، أَوْ يَقْتَضِيهِ التَّرْكِيبُ مِنْ مُكْمَلَاتِهَا وَعَنْصَرِهَا الْأُخْرَى ، ثُمَّ اتَّضَحَ الْمَعْنَى بِدُونِ ذِكْرِ هَذِهِ الْعَنْصَرِ ؛ لَوْجُودِ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَحذُوفِ عَدَدْنَا ذَلِكَ حَدْفًا جِيءَ بِهِ لِطَلْبِ الْخَفَةِ اخْتِصَارًا ، أَوْ اقْتِصَارًا ، أَوْ تَجَنُّبًا لِلْحَشْوِ ، أَوْ لِسَبَبِ آخَرَ غَيْرِ ذَلِكَ . وَكُلُّ عُنْصُرٍ مِنْ عَنْصَرِ الْجُمْلَةِ صَالِحٌ لِأَنْ يُحَدَفَ إِذَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ)) (٢٥)

وَلَمَّا كَانَ الْحَدْفُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ التَّأْوِيلِ وَالتَّقْدِيرِ (٢٦) ، فَإِنَّ أَحَدَ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ لَا يَرَى جَدْوَى مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ ؛ لِأَنَّ الْحَدْفَ عِنْدَهُ يَذْهَبُ مَا قَصَدَ إِلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ تَأْتِيرٍ فِي نَفْسِ السَّامِعِ ، إِذْ قَالَ : ((وَعَايَةُ هَذَا الْبَحْثِ أَنْ تُشِيرَ إِلَى تِلْكَ الْأَصُولِ غَيْرِ الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى أُسَاسٍ ، فَلَا تَعُودُ مَوَازِينُ تَوَزُنُ بِهَا الصِّحَّةُ وَالْخَطَأُ ، وَيُعْرَفُ بِهَا الصَّوَابُ مِنَ الْغَلَطِ ، وَلَا تُهْمَلُ تِلْكَ الصُّورُ الْجَمِيلَةُ مِنَ التَّعْبِيرِ ، أَوْ يُسَاءُ إِلَيْهَا بِالتَّأْوِيلِ وَالتَّقْدِيرِ فَيَضِيعُ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ وَأَثَرُهُ الْمَقْصُودُ فِي النُّفُوسِ وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا فِي هَذَا الْبَابِ الْحَدْفُ ، حَدْفُ الْعُمْدَةِ كَالْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفَاعِلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، أَوْ حَدْفُ الْفَضْلَةِ كَالْمَفْعُولِ وَالْمَجْرُورِ وَالْمُضَافِ ، لَقَدْ أَلْفَنَّا نَحَاةً يُقَدَّرُونَ ذَلِكَ كُلَّهُ ... وَتَقْدِيرُ الْمَحذُوفِ سَوَاءٌ كَانَ وَاجِبَ الذِّكْرِ أَوْ غَيْرَ وَاجِبِ الذِّكْرِ يُعْبَرُ فِي الْمَعْنَى ، أَوْ يُضْعَفُ أَثَرُهُ فِي النَّفْسِ ؛ لِأَنَّ حَدْفَ الْمَأْلُوفِ ذِكْرُهُ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ غَالِبًا ضَرْبٌ مِنَ الْمَشَارَكَةِ بَيْنَ الْمُنْشِئِ وَالْمُتَلَقِّي)) (٢٧)

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ لَا يَقْبَلُ الشَّكَّ عَلَى مُسَانَدَةِ الْبَاحِثِ لِذَعْوَى "ابْنِ مَضَاءِ الْقُرْطُبِيِّ" (ت ٥٩٢هـ) فِي الْحَدْفِ وَالتَّقْدِيرِ وَالزِّيَادَةِ وَالَّذِي نَادَى إِلَى الْإِعَاءِ هَذَا الْبَابِ بِقَوْلِهِ : ((فَإِنَّ قَبْلَ: إِنَّ مَعَانِي هَذِهِ الْأَلْفَافِ الْمَحذُوفَةِ مَوْجُودَةٌ فِي نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَإِنَّ الْكَلَامَ بِهَا يَتِمُّ ، وَإِنَّمَا جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ الْقَائِمِ بِالنَّفْسِ وَالْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِالْأَلْفَافِ ، إِلَّا أَنَّهَا حَدَفَتْ الْأَلْفَافَ الدَّالَّةَ عَلَيْهَا إِجْزَاءً ، كَمَا حَدَفَتْ مِمَّا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ إِجْزَاءً ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ نَاقِصًا ، وَأَنْ لَا يَتِمَّ إِلَّا بِهَا ؛ لِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهُ ، وَزِدْنَا فِي كَلَامِ الْقَائِلِينَ مَا لَمْ يَلْفُظُوا بِهِ ، وَلَا دَلْنَا عَلَيْهِ دَلِيلٌ إِلَّا ادِّعَاءً أَنْ كُلُّ مَنْصُوبٍ فَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ نَاصِبٍ لَفْظِيٍّ . وَقَدْ فَرَعُ مِنْ إِبْطَالِ هَذَا الظَّنِّ بَيِّنِينَ ، وَادِّعَاءُ الزِّيَادَةِ فِي كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا خَطَأً بَيِّنًا ، لَكِنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ عَقَابٌ ، أَمَّا طَرْدُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ... فَالْقَوْلُ بِذَلِكَ حَرَامٌ)) (٢٨)

وَلَسْنَا مُلْزَمِينَ بِالْأَخْذِ بِمَا جَاءَ بِهِ "ابْنِ مَضَاءِ الْقُرْطُبِيِّ" ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ؛ لِأَنَّ الْحَدْفَ وَالِإِضْمَارَ أَمْرَانِ أَقْرَبُهُمَا أَهْلُ النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ ؛ لِمَا فِيهِمَا مِنْ تَكْنَةِ بِلَاغِيَّةٍ تُضْفِي عَلَى النَّصِّ حَالًا تَمْنَحُهُ قُوَّةً فِي الدَّلَالَةِ ، وَلِهَذَا نَحْدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَائِيْبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَدْفًا ، وَلَكِنَّا لَا نَعْتَرُ عَلَى حَدْفِ يَخْلُو الْكَلَامُ مِنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِبَاقٍ ، زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ جَمْعُهُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةَ فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ . وَعَلَى هَذَا قَالَ "الزَّمَخْشَرِيُّ" : ((إِنَّ الْحَدْفَ وَالِإِخْتِصَارَ هُوَ نَهْجُ التَّنْزِيلِ)) (٢٩)

وَمَا جَاءَ بِهِ "ابْنِ مَضَاءِ الْقُرْطُبِيِّ" وَمَنْ تَبِعَهُ لَا يَقْبَلُ عَلَى عِلْتِهِ ؛ لِأَنَّ الْحَدْفَ الْمَنْسُوبَ إِلَى أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَشْمَلُ التَّرَاكِيْبَ اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي تَجْعَلُ لِلْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْمَاطًا تَرْكِيْبِيَّةً مُعَيَّنَةً وَلا يَسْمُونَ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ الْكَرِيمَ (٣٠) ، وَهَذَا أَمْرٌ أَقْرَبُهُ كُتُبُ النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ (٣١) ، فَلَا دَاعِيَ لِتُكْرَانِهِ وَالتَّرَدُّدِ فِي قَبُولِهِ .

الفرق بين الحذف والإضمار

فَرَّقَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ بَيْنَ الْحَدْفِ وَالِإِضْمَارِ ، فَرَعَمَ : ((أَنَّ الْفَاعِلَ يُضْمَرُ وَلَا يُحَدَفُ ، فَإِنَّ كَانُوا يَعْنُونَ بِالْمُضْمَرِ مَا لَا يَدُّ مِنْهُ وَبِالْمَحذُوفِ مَا قَدْ يُسْتَعْنَى عَنْهُ ، فَهَمْ يَقُولُونَ : هَذَا انْتَصَبَ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، وَلَا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ . وَالْفِعْلُ الَّذِي بِهِذِهِ الصِّفَةُ لَا يَدُّ مِنْهُ ، وَلَا يَتِمُّ الْكَلَامُ إِلَّا بِهِ ، وَهُوَ النَّاصِبُ ، فَلَا يُوجَدُ مَنْصُوبٌ إِلَّا بِنَاصِبٍ ، وَإِنْ كَانُوا يَعْنُونَ بِالْمُضْمَرِ الْأَسْمَاءَ ، وَيَعْنُونَ بِالْمَحذُوفِ الْأَفْعَالَ ، وَلَا يَقَعُ الْحَدْفُ إِلَّا فِي الْأَفْعَالِ ، أَوْ الْجُمَلِ لَا فِي الْأَسْمَاءِ ، فَهَمْ يَقُولُونَ فِي قَوْلِنَا : (الَّذِي ضَرَبْتُ زَيْدًا) إِنَّ الْمَفْعُولَ

مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : ضَرَبْتُهُ ، فَإِنَّ فَرْقَ بَيْنَهُمَا بِمَا هُوَ مَقْطُوعٌ بِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَرَادَهُ ، وَبِمَا يُظُنُّ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَرَادَهُ وَيَجُوزُ أَنْ لَا يُرِيدُهُ ، فَهُوَ فَرْقٌ ، وَلَكِنْ إِطْلَاقَ النَّحْوِيِّينَ لِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ لَا يَأْتِي مُوَافِقًا لِهَذَا الْفَرْقِ ((^(٣٧)) . وَذَكَرَ "الزَّرْكَشِيُّ" ((أَنَّ الْإِضْمَارَ عِنْدَهُمْ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَبْقَى أَثَرُ لَهُ فِي اللَّفْظِ))^(٣٨) . وَجَاءَ فِي حَاشِيَةِ "الشَّهَابِيِّ" ((وَعَبَّرَ بِالْإِضْمَارِ دُونَ الْحَذْفِ ؛ لِأَنَّهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْإِضْمَارَ الْحَذْفُ مَعَ بَقَاءِ الْأَثَرِ ؛ لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِوُجُودِ مُقَدَّرٍ لَهُ ، وَالْحَذْفُ أَعْمٌ مِنْهُ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الْآخَرِ كَمَا يُعْلَمُ بِالْإِسْتِقْرَاءِ))^(٣٩) .

وَجَاءَ فِي الْكَلِمَاتِ : ((الْحَذْفُ إِسْقَاطُ الشَّيْءِ لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَالْإِضْمَارُ إِسْقَاطُ الشَّيْءِ لَفْظًا لَا مَعْنَى))^(٤٠) ، وَأَبْدَأَ إِنَّمَا يَلْتَقِ الْإِضْمَارُ بِمَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ وَلَا يُضْمَرُ شَيْءٌ لَمْ يَجْرَ ذِكْرُهُ^(٤١) . الَّذِي أُرِيدُ قَوْلُهُ فِي هَذَا الْجَانِبِ: إِنِّي لَمْ أَجِدْ نَحْوِيًّا أَوْ بَلَاغِيًّا رَاعَى هَذَا الْعُرْفَ أَوْ التَّرْمَةَ ، فِيمَا يُجْرِيهِ مِنْ تَوْجِيهِ ، أَوْ تَأْوِيلِ نَحْوِيٍّ ، أَوْ إِعْرَابِ جُمْلَةٍ ، بَلْ كَثِيرًا مَا يُوضَعُ الْحَذْفُ مَوْضِعَ الْإِضْمَارِ ، وَالْقَوْلُ نَفْسُهُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْإِضْمَارِ ، وَهَذَا مَا وَجَدْتُهُ مِنْ خِلَالِ قِرَائَتِي لِبَعْضِ كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ مِنْ نَحَاةٍ أَوْ بَلَاغِيينَ فَهَذَا "عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ" (ت ٧٧٤هـ) يُطَالِعُنَا بِاسْتِخْدَامِهِ لِمُصْطَلَحِ الْإِضْمَارِ لِلْفِعْلِ وَالاسْمِ فِي سِبَاقٍ وَاحِدٍ دُونَمَا تَفْرِيقَهُ بَيْنَهُمَا ، إِذْ قَالَ : ((وَكَمَا يُضْمَرُونَ الْمُبْتَدَأَ فَيُرْفَعُونَ ، فَقَدْ يُضْمَرُونَ الْفِعْلَ فَيَنْصَبُونَ كَبَيْتِ الْكِتَابِ أَيْضًا :

دِيَارَ مِيَّةٍ إِذْ مَيُّ تُسَاعِفُنَا وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ^(٤٢)

أَنْشَدَهُ بِنَصْبِ (دِيَارِ) عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَذْكَرُ دِيَارَ مِيَّةٍ.))^(٤٣) . وَهَذَا "ابْنُ جَنِيٍّ" الَّذِي نَرَاهُ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْمُصْطَلَحَيْنِ فِي اسْتِخْدَامِهِ ، إِذْ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ((بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ))^(٤٤) ، ((أَمَا مَكْرٌ بِالنَّصْبِ فَعَلَى الظَّرْفِ ، كَقَوْلِكَ : زُرْتُكَ حَقُوقَ النَّجْمِ ، وَصِيَاخِ الدِّيَكِ ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ أَيْ : صَدَدْتُمُونَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ))^(٤٥) . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ((وَأَخَذَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ))^(٤٦) ، ((وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَهُ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ يُدَلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ((فَلَا قُوَّةَ ...)) وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَهُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَخَبَرَهُ مَحذُوفٌ ، أَيْ : وَهُنَاكَ أَخَذَ لَهُمْ ، أَحَاطَهُ بِهِمْ ، وَدَلَّ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ مَا دَلَّ عَلَى الْفِعْلِ فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ))^(٤٧) ، فَتَارَةً يَسْتَعْمِلُ (الْمَحذُوفَ) ، وَتَارَةً أُخْرَى يَسْتَعْمِلُ (الْمُضْمَرَ) لِلْفِعْلِ فِي وَفْتٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ "ابْنُ عَطِيَّةٍ" : ((وَالنَّاصِبُ لِقَوْلِهِ (دَابًّا تَزْرَعُونَ)^(٤٨) عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ، إِذْ فِي قَوْلِهِ : " تَزْرَعُونَ " تَدَابُّونَ ، وَهِيَ عِنْدَهُ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : قَعَدَ الْفَرُفْصَاءَ ، وَاشْتَمَلَ الصَّنَّاءَ ، وَسَيَّبُوهُ يَرَى نَصْبَ هَذَا كُلِّهِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ))^(٤٩) .

وَهَذَا "أَبُو حَيَّانٍ" (ت ٧٥٤هـ) يَسْتَعْمِلُ الْمُصْطَلَحَيْنِ فِي أَنْ وَاحِدٍ ، إِذْ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ((أَنْ لَوْ يَشَاءُ))^(٥٠) ، جَوَابُ قِسْمٍ مَحذُوفٍ ، أَيْ : وَأَقْسَمُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ، وَيَدُلُّ عَلَى إِضْمَارِ هَذَا الْقِسْمِ وَجُودِ (أَنْ) مَعَ (لَوْ) ((...))^(٥١) .

وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ فِي تَتَبُعِي لِكُتُبِ النَّحْوِ وَإِعْرَابِ الْفُرْآنِ وَمَعَانِيهِ فَالْشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ لَا حَصْرَ لَهَا . وَهَذَا لَا يَعْنِي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنِّي لَا أَتَّفِقُ مَعَ "ابْنِ مَضَاءِ الْقُرْطُبِيِّ" وَ"الزَّرْكَشِيِّ" صَاحِبِ الْبُرْهَانِ ، كَمَا ذَهَبَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ قَائِلًا : ((وَلَسْتُ أَتَّفِقُ مَعَ "ابْنِ مَضَاءٍ" فِيمَا نَسَبَهُ إِلَى النَّحْوِيِّينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ لِأَنَّ الْإِضْمَارَ عِنْدَهُمْ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَبْقَى أَثَرُ لَهُ فِي اللَّفْظِ ، وَالْحَذْفُ يُطْلَقُ عَلَى مَا لَا يَبْقَى أَثَرُ لَهُ فِي اللَّفْظِ))^(٥٢) .

وَالْأَمْرُ عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ ؛ لِأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَذْفِ وَالْإِضْمَارِ مَوْجُودٌ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِضْمَارِ مِنْ مُمْلَحَةِ الْمُقَدَّرِ بَابِ الْإِسْتِثْقَاقِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَضْمَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَحْفَيْتُهُ كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ الْمُضْمَرِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ إِنْ شِئْتَ جِئْتَ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَأْتِ بِهِ^(٥٣) . أَمَا الْحَذْفُ فَمِنْ حَدَفْتُ الشَّيْءَ إِذَا قَطَعْتَهُ ، وَهُوَ يُشْعِرُ بِالطَّرْحِ بِخِلَافِ الْإِضْمَارِ^(٥٤) الَّذِي يَعْنِي تَرْكَ الشَّيْءِ مَعَ بَقَاءِ أَثَرِهِ ، وَهُوَ إِسْقَاطُ الشَّيْءِ لَفْظًا لَا مَعْنَى^(٥٥) .

إِنَّ النِّحَاةَ وَالتَّبْلَاغِيَيْنِ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِذَيْنِ الْمُصْطَلِحَيْنِ فِي تَوْجِيهَاتِهِمْ وَتَأْوِيلَاتِهِمْ النَّحْوِيَّةَ ، وَإِنِّي لَأَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ((أَكْثَرَ أَلْفَاظِ النَّحْوِيِّينَ مَحْمُولَةٌ عَلَى التَّجَاوُزِ وَالتَّسَامُحِ ، لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّ مَقْصِدَهُمُ التَّقْرِيبَ عَلَى الْمُبْتَدِئِينَ وَالتَّعَلُّمَ لِلنَّاشِئِينَ)) (٥١)

وَهَذَا مَا وَجَدْتُهُ عِنْدَ الدُّكْتُورِ "فَاضِلِ السَّامِرَائِيِّ" الَّذِي يَسْتَعِدُّ مُصْطَلِحَ الْحَذْفِ مَكَانَ الْإِضْمَارِ ، إِذْ يَقُولُ فِي (أَنْ) النَّاصِبَةَ ((وَكَحَذْفِ "أَنْ" النَّاصِبَةَ وَبَقَاءِ عَمَلِهَا نَحْوُ : " أَرِيدُ أُدْرُسَ " (٥٢) ، وَ(أَنْ) لَا تُحَذَفُ بَلْ تُضْمَرُ ؛ لِأَنَّهَا مِمَّا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ فِي الْجُمْلَةِ . أَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنْيِيسِ وَالتَّسْهِيلِ وَالتَّسَامُحِ الَّذِي نَسْتَعِدُّهُ نَحْنُ أَسَاتِذَةُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي مُحَاضِرَاتِنَا اليَوْمِيَّةِ ، إِذْ نَقُولُ : (يُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ) ، وَ(مَجْزُومٌ بِالسُّكُونِ) . وَهُوَ لَا يُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ ، وَلَا يُجْزَمُ بِالسُّكُونِ بَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةٌ رَفَعِهِ الضَّمَّةُ ، وَمَجْزُومٌ وَعَلَامَةٌ جُزْمِهِ السُّكُونُ ، نَقُولُ : (زَيْدٌ فِي الدَّارِ) ، وَنَعْرَبُ شِبْهَ الْجُمْلَةِ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ لَزِيدٍ وَهُوَ لَيْسَ خَبَرًا بَلْ مُعَلِّقٌ بِالْخَبَرِ الَّذِي يُقَدِّرُهُ النِّحَاةُ بِكَائِنٍ أَوْ مُسْتَقَرٍّ عَلَى الْوَجْهِ الْأَصَحِّ .

وَالْبَإِثْنِ الْقِيمِ الْجُوزِيَّةِ (ت ٧٥١هـ) الْإِنْفَاتَةَ جَمِيلَةً فِي هَذَا الشَّانِ ، إِذْ يَرَى أَنَّ ((الْفَاعِلَ مُضْمَرٌ فِي نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَلَفْظُ الْفِعْلِ مُتَضَمَّنٌ لَهُ دَالٌّ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَى عَنِ إِظْهَارِهِ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ ، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ مُضْمَرٍ وَلَمْ يُعَبِّرْ عَنْهُ بِمَحذُوفٍ ؛ لِأَنَّ الْمُضْمَرَ هُوَ الْمُسْتَتَرُّ ، فَهُوَ مُضْمَرٌ فِي النَّبِيَّةِ مُخْفَى فِي الْخَلْدِ ، وَالْإِضْمَارُ هُوَ الْإِخْفَاءُ فَإِنْ قِيلَ : فَهَلَا سَمَّوْا مَا حَذَفُوهُ لَفْظًا وَأَرَادُوهُ نَبِيَّةً مُضْمَرًا ، مِثْلَ الْعَائِدِ فِي قَوْلِكَ : (الَّذِي رَأَيْتَ زَيْدًا) وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَبَيِّنْ (زَيْدٌ قَامَ) قِيلَ : الضَّمِيرُ فِي (زَيْدٌ قَامَ) لَمْ يُنْطَقْ بِهِ ثُمَّ حُذِفَ ، وَلَكِنَّهُ مُضْمَرٌ فِي الْإِرَادَةِ ، وَلَا كَذَلِكَ الْمَحذُوفُ لِلْعِلْمِ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ لَفِظَ بِهِ فِي النُّطْقِ ثُمَّ حُذِفَ تَخْفِيفًا ، فَلَمَّا كَانَ قَدْ لَفِظَ بِهِ ثُمَّ قَطَعَ مِنَ اللَّفْظِ تَخْفِيفًا عَبَّرَ عَنْهُ بِالْحَذْفِ . وَالْحَذْفُ هُوَ الْقَطْعُ مِنَ الشَّيْءِ)) (٥٣)

قَالَ "ابْنُ مَالِكٍ" (ت ٦٧١هـ) : ((وَأَجَازَ الْكِسَائِيُّ - وَحَدَهُ - حَذْفَ الْفَاعِلِ إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَمَنَعَ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ أُدْعِيَ فِيهِ الْحَذْفُ فَلِلْإِضْمَارِ فِيهِ مُمَكِّنٌ)) (٥٤)

وَقَدَّرَ "ابْنُ مَيْمُونٍ" (ت ٥٦٧هـ) (٥٥) قَوْلَ النِّحَاةِ : أَنَّ الْفَاعِلَ يُحَذَفُ فِي بَابِ الْمَصْدَرِ ، وَقَالَ الصَّوَابُ أَنَّ يُقَالُ : يُضْمَرُ وَلَا يُحَذَفُ ؛ لِأَنَّهُ عُمْدَةٌ فِي الْكَلَامِ (٥٦)

وَقَدْ فَرَّقَ "ابْنُ السَّرَاجِ" (ت ٣١٦هـ) بَيْنَ مُصْطَلِحِي الْحَذْفِ وَالتَّسَامُحِ وَعَقَدَ لَهُ بَابًا فِي الْأَصُولِ ، إِذْ يَرَى أَنَّ الْحَذْفَ يَخْتَصُّ بِحَالَةِ اسْتِقْطَاعِ الْعَامِلِ وَإِبْقَاءِ الْمَعْمُولِ عَلَى مَا كَانَ لَهُ مِنْ حُكْمٍ إِعْرَابِيٍّ فَإِذَا تَغَيَّرَ الْحُكْمُ الْإِعْرَابِيُّ بَعْدَ الْحَذْفِ دَلَّ عَلَيْهِ بِاصْطِلَاحِ آخَرَ وَهُوَ التَّسَامُحُ ، وَيَقُولُ : ((اعْلَمْ أَنَّ التَّسَامُحَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَذْفِ إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا الْبَابِ وَالتَّبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ ، أَنَّ هَذَا تُقِيمُهُ مَقَامَ الْمَحذُوفِ وَتُعْرَبُهُ بِإِعْرَابِهِ ، وَذَلِكَ الْبَابُ يُحَذَفُ الْعَامِلُ فِيهِ وَتَدْعُ مَا عَمِلَ فِيهِ عَلَى حَالِهِ فِي الْإِعْرَابِ ، وَهَذَا الْبَابُ الْعَامِلُ فِيهِ بِحَالِهِ ، وَإِنَّمَا تُقِيمُ فِيهِ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَ الْمُضَافِ ، فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ((سَلِّ الْقَرْيَةَ)) (٥٧) تُرِيدُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، وَقَوْلُ الْعَرَبِ : بَنُو فُلَانٍ يَطُوفُ هُمُ الطَّرِيقُ : يُرِيدُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ ، وَقَوْلُهُ : ((وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)) (٥٨) ، وَأَمَّا اتَّسَاعُهُمْ فِي الظَّرْفِ فَنَحْوُ قَوْلِهِمْ : (حَبِيبٌ عَلَيْهِ يَوْمَانِ) ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى : ((حَبِيبٌ عَلَيْهِ الْوَحْشُ فِي يَوْمَيْنِ)) (٥٩)

وَسَبَبِيَّتُهُ يُسَمَّى ذَلِكَ اتِّسَاعَ الْكَلَامِ وَاخْتِصَارَهُ (٦٠) . قَالَ "ابْنُ جَنِّي" : ((الْحَذْفُ اتِّسَاعٌ وَالتَّسَامُحُ بَابُهُ آخِرُ الْكَلَامِ وَأَوْسَطُهُ ، لَا صَدْرُهُ وَأَوَّلُهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ اتَّسَعَ بِزِيَادَةِ (كَانَ) حَشْوًا أَوْ آخِرًا ، وَلَا يَجُوزُ زِيَادَتُهَا أَوْلًا)) (٦١)

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النِّحَاةِ يَسْتَعْنُونَ عَنْ هَذِهِ التَّفَرُّقَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا "ابْنُ السَّرَاجِ" ، وَ"ابْنُ جَنِّي" مِنْ بَعْدِهِ ، وَيَجْعَلُونَ الْحَذْفَ يَشْمَلُ حَالَتِي تَغْيِيرِ الْمَعْمُولِ وَبِقَائِهِ عَلَى مَا كَانَ لَهُ مِنْ وَضْعٍ إِعْرَابِيٍّ ، وَلَعَلَّ مَا فِي كَلَامِ "ابْنِ السَّرَاجِ" نَفْسِهِ مَا يُبْرِرُ مِثْلَ هَذَا الْمَوْقِفِ ، فَإِنَّهُ يَعْتَرِفُ صَرَاحًا بِأَنَّ التَّسَامُحَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَذْفِ ، وَهَذَا الْكَلَامُ يُنْطَبِقُ عَلَى "ابْنِ جَنِّي" أَيْضًا .

وَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا ، إِنَّ الْحَذْفَ يَعْنِي اسْتِقْطَاعَ بَعْضِ الصَّبْغِ الْمَوْجُودَةِ فِي النَّصِّ سِوَاءَ بَقِي التَّرْكِيبِ بَعْدَ الْحَذْفِ عَلَى مَا كَانَ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ ؛ أَوْ تَغْيِيرَتِ حَرَكَتِهِ لِتَنَاسُبِ مَعِ وَضْعِهِ الْإِعْرَابِيَّ الْجَدِيدِ .

هَلِ الحَدْفُ مِنَ المَجَازِ؟

ذَكَرَ "ابْنُ عَطِيَّةٍ" (ت ٥٤٦هـ) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ نَعَالَى : ((وَاسْأَلِ القَرِيْبَةَ))^(٦٢) أَنَّ المُرَادَ أَهْلَ القَرِيْبَةِ وَهُوَ مِنَ المَجَازِ ، وَأكَّدَ أَنَّ حَدْفَ المُضَافِ هُوَ عَيْنُ المَجَازِ أَوْ مُعْظَمُهُ ، وَنَسَبَ هَذَا الرِّأْيَ إِلَى "سَبِيْبُوِيَه" وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ النِّظَرِ ، وَلَيْسَ كُلُّ حَدْفٍ مَجَازاً ، وَرَجَّحَ أَنَّ الحَدْفَ فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنَ المَجَازِ^(٦٣) .

وَقدْ تَنَاولَ "عَبْدُ القَاهِرِ الجُرْجَانِي" (ت ٤٧١هـ) هَذَا المَوْضُوعَ وَفَصَّلَ القَوْلَ فِيهِ مُبَيِّناً الفَرْقَ بَيْنَ الحَدْفِ وَالمَجَازِ ، وَالمُضَابِطَ عِنْدَهُ أَنَّ يَكُونُ الحَدْفُ مَجَازاً إِذَا تَغَيَّرَ فِيهِ الحُكْمُ ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الحُكْمُ فَلَا مَجَازَ فِي ذَلِكَ ((وَلَا يَتَّبَعِي أَنَّ يُقَالَ : إِنَّ وَجْهَ المَجَازِ مِنْ هَذَا الحَدْفِ ، فَإِنَّ الحَدْفَ إِذَا تَجَرَّدَ عَنِ تَغْيِيرِ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ مَا بَقِيَ بَعْدَ الحَدْفِ لَمْ يُسَمَّ مَجَازاً ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : " زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو " فَتَحَدْفُ الخَبَرَ ثُمَّ لَا تُوصَفُ جُمْلَةُ الكَلَامِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مَجَازٌ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يُوَدَّ إِلَى تَغْيِيرِ حُكْمٍ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الكَلَامِ ، وَيُزِيدُهُ تَقْرِيراً أَنَّ المَجَازَ إِذَا كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّ تُجَوَّرَ بِالشَّيْءِ مَوْضِعُهُ وَأَصْلُهُ ، فَالحَدْفُ بِمَجَرَّدِهِ لَا يَسْتَحِقُّ الوَصْفَ بِهِ ؛ لِأَنَّ تَرَكَ الذِّكْرَ وَإِسْقَاطَ الكَلِمَةِ مِنَ الكَلَامِ لَا يَكُونُ نَقْلاً لَهَا عَنِ أَصْلِهَا إِنَّمَا يُنْصَوِّرُ النِّقْلَ فِيمَا دَخَلَ تَحْتَ النُّطْقِ . وَإِذَا امْتَنَعَ أَنْ يُوصَفَ المَحْدُوفُ بِالمَجَازِ بَقِيَ القَوْلُ فِيمَا لَمْ يُحَدَفْ ، وَمَا لَمْ يُحَدَفْ وَدَخَلَ تَحْتَ الذِّكْرِ لَا يَزُولُ عَنِ أَصْلِهِ وَمَكَانِهِ حَتَّى يُغَيَّرَ حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهِ أَوْ يُغَيَّرَ عَنِ مَعَانِيهِ ؛ فَأَمَّا وَهُوَ عَلَى حَالِهِ وَالمَحْدُوفُ مَذْكَورٌ فَتَوَهُمُ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ أُنْبَعْدِ المَحَالِ ، فَاعْرِفْ))^(٦٤) .

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ إِنْ أُريدَ بِالمَجَازِ اللَّفْظُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَالمَحْدُوفُ لَيْسَ كَذَلِكَ ؛ لِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهِ ، وَإِنْ أُريدَ بِالمَجَازِ إِسْنَادُ الفِعْلِ إِلَى غَيْرِهِ وَهُوَ المَجَازُ العَقْلِيُّ ، فَالحَدْفُ كَذَلِكَ^(٦٥) .

((الخَاتِمَةُ))

لَجَأَ العَرَبُ إِلَى الحَدْفِ فِي كَلَامِهِمْ مُسْتَهْدِفِينَ فِي ذَلِكَ الإِجَازَ وَالاخْتِصَارَ ، وَالاكْتِفَاءَ بِبُيُورِ القَوْلِ إِذَا كَانَ المُخَاطَبُ عَالِماً بِهِ ، إِذْ لَا حَدْفَ إِلاَّ بِدَلِيلٍ ، فَحَدَفُوا مِنْ كَلَامِهِمُ المُفْرَدَ وَالجُمْلَةَ وَالحَرْفَ وَالحَرْكَةَ . وَقدْ فَرَّقَ بَعْضُ النُّحَاةِ بَيْنَ مَا يُضْمَرُ وَمَا يُحَدَفُ ، وَلَكِنَّ الكَثِيرَ مِنْهُمْ يُطْلِقُ مُصْطَلَحَ الإِضْمَارِ وَيُرِيدُ بِهِ مَا وَجَدْنَاهُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ ، وَلَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ أَكْثَرَ أَلفاظِ النُّحويِّينَ جَاءَتْ مَحْمُولَةً عَلَى التَّجَاوُزِ وَالتَّسَامُحِ ، لَا عَلَى الحَقِيقَةِ ، وَهُمُ فِي ذَلِكَ مُصِيبُونَ الحَقِيقَةَ ؛ لِأَنَّ مَقْصَدَهُمُ التَّقْرِيبَ وَالتَّسْهِيلَ عَلَى المُتَعَلِّمِينَ وَالتَّقْرِيبَ لِلنَّاسِئِينَ ، وَفِي ذَاتِ الوَقْتِ لَا يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ المُصْطَلَحِينَ بَلْ هُمْ أَدْرَى فِي ذَلِكَ مَهْمَا قِيلَ عَنْهُمْ مِنْ أَقْوَالٍ باعَدَتْ جَادَةَ الصَّوَابِ .

وَالحَدْفُ بَابٌ وَاسِعٌ مِنْ أَبْوَابِ النُّحُوِّ ، إِذْ إِنَّمَا نَجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَائِبِ القُرْآنِ الكَرِيمِ حَدْفاً ، وَلَكِنَّمَا لَا نَعْتَرُ عَلَى حَدْفِ يَخْلُو الكَلَامُ مِنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِيَاقٍ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ جَمْعُهُ المَعَانِي الكَثِيرَةَ فِي الكَلَامِ القَلِيلِ وَهَذَا هُوَ نَهْجُ التَّنْزِيلِ العَزِيزِ .

الهوامش

- ١- ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : (حذف) ٢١٧/٣ . واللسان مادة (حذف) : ٣٩/٩ . وبدائع الفوائد ٢١٦/١ .
- ٢- ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٢/٣ . وبدائع الفوائد : ٢١٦/١ . وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٩٠ .
- ٣- ينظر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ٣٨٤ .
- ٤- النكت في إعجاز القرآن : ٢٤١ .
- ٥- ينظر : أصول التفكير النحوي : ٢٨٣ .
- ٦- ينظر : المجتني لابن دريد : ١٦ .
- ٧- ينظر : الخصائص : ١٤٠/٢ .
- ٨- ينظر : المثل السائر : ٣١٢/٢ .
- ٩- دلائل الإعجاز : ١٤٦ . وينظر : المثل السائر : ٣١٦/٢ .
- ١٠- ينظر : التراكيب اللغوية في العربية : ١٥٢ .
- ١١- ينظر : البرهان الكاشف عن وجوه إعجاز القرآن : ٣٧ .
- ١٢- الخصائص : ١٤٠/٢ . وينظر : المثل السائر : ٣١٢/٢ .
- ١٣- ينظر : ظاهرة الحذف : ٩٠ .
- ١٤- ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : ٤٦١/٢ .
- ١٥- المثل السائر : ٣١٢/٢ .
- ١٦- ينظر : الخصائص : ١٤٠/٢ . وتأويل مشكل القرآن : ٢٣٨ . والبرهان في علوم القرآن : ٧٣/٣ .
- ١٧- ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٣/٣ .
- ١٨- الكتاب : ٢٤/١ .
- ١٩- ينظر : دلائل الإعجاز : ١٤٦ . والكشاف : ٦٥٦/٤ ، والمثل السائر : ٢١٦/٢ .
- ٢٠- البرهان الكاشف : ٢٤٦ .
- ٢١- دلائل الإعجاز : ١٥٢ - ١٥٣ .
- ٢٢- النكت في إعجاز القرآن : ١٨٩ . وينظر : إعجاز القرآن ، للباقلاني : ٢٦٢ .
- ٢٣- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : ١٣٥ .
- ٢٤- البرهان الكاشف : ٢٣٧ .
- ٢٥- البيان في روائع القرآن : ١٠٩/٢ .
- ٢٦- ينظر : أصول التفكير النحوي : ٢٨٣ .
- ٢٧- نحو القرآن : ١٢ - ١٣ .
- ٢٨- الرد على النحاة : ٨٠ - ٨١ .
- ٢٩- الكشاف : ٦٥٦/٤ .
- ٣٠- ينظر : البيان في روائع القرآن : ١٠٩/٢ .
- ٣١- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٧٨/٢ ، ودلائل الإعجاز : ١٥٤ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ١٠٠/٢ ، والمثل السائر : ٣١٦/٢ ، البرهان الكاشف : ٢٣٧ ، والإنصاف : ٤٦١/٢ ، وبدائع الفوائد : ٢١٦/١ .
- ٣٢- الرد على النحاة : ٩٢ - ٩٣ .
- ٣٣- ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٣/٣ .
- ٣٤- حاشية الشهابي على تفسير البيضاوي : ١٧٩ / ١ - ١٨٠ .
- ٣٥- الكليات : ٣٨٤ .

- ٣٦- ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ٤٨٧/٢ ، وهو كتاب (الجواهر) للباقولي الأصفهاني (ت٥٤٣هـ) . وقد حقق نسبة هذا الكتاب إلى "جامع العلوم الباقولي الأصبهاني" الأستاذ أحمد راتب النفاخ في مقالتين نشرهما في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٤٨ ، ج ٤ : ص ٨٤٠ - ٨٦٣ ، عام ١٩٧٣ م .
- ٣٧- البيت لذي الرمة ، لم أهدئ إليه في ديوانه ، وهو من شواهد سيبويه : ٢٨٠/١ .
- ٣٨- دلائل الإعجاز : ١٤٦ .
- ٣٩- سورة سبأ الآية : ٣٣ .
- ٤٠- المحتسب : ٢٣٩/٢ .
- ٤١- سورة سبأ الآية : ٥١ .
- ٤٢- المحتسب : ٢٤١/٢ .
- ٤٣- سورة يوسف من الآية : ٤٧ .
- ٤٤- المحرر الوجيز : ٢٥٠/٣ .
- ٤٥- سورة الرعد الآية : ٣١ .
- ٤٦- البحر المحيط : ٣٩٠/٦ .
- ٤٧- التأويل النحوي في القرآن الكريم : د. عبد الفتاح الحموز : ١٣٤/١ .
- ٤٨- ينظر : اللسان ، مادة (ضَمَرَ) : ٤٦٢/٤ . وينظر : الكليات : ٣٨٤ .
- ٤٩- ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٢١٧/٣ . والكليات : ٣٨٤ . والبرهان في علوم القرآن : ٧٢/٣ .
- ٥٠- ينظر : الكليات : ٣٨٤ /٣ .
- ٥١- نتائج الفكر : ١٦٥ . وينظر : بدائع الفوائد : ٢١٥/١ .
- ٥٢- الجملة العربية : ٨٦ .
- ٥٣- بدائع الفوائد : ٢١٥/١ - ٢١٦ .
- ٥٤- شرح الكافية الشافية : ٦٠٠/٢ .
- ٥٥- ابن ميمون : هو محمد بن عبد الله بن ميمون العبدي القرطبي ، عالم بالقرآن والقراءات وكان حافظاً للفقهِ واللغة والأدب ، شاعراً محسناً ، استوطن مراكش ، ومات فيها عام (٥٦٧هـ) . ينظر ترجمته في (بغية الوعاة : ٣٣/١) .
- ٥٦- ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٢/٣ .
- ٥٧- سورة يوسف الآية : ٨٢ .
- ٥٨- سورة البقرة الآية : ١٧٧ .
- ٥٩- الأصول : ٢٥٥/٢ ، وينظر : الأشباه والنظائر : ٣٠/١ .
- ٦٠- ينظر : الكتاب : ٢١٢/١ .
- ٦١- الخصائص : ٢٩٧/١ .
- ٦٢- سورة يوسف الآية : ٨٢ .
- ٦٣- ينظر : المحرر الوجيز : ٢٧١/٣ .
- ٦٤- أسرار البلاغة : ٣٠٦ .
- ٦٥- ينظر : البرهان : ٧٣/٣ .

((مصادرُ البحثِ ومراجَعُهُ))

- ١- أسرار البلاغة : الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ)، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- ٢- الأشباه والنظائر في النحو العربي : الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م .
- ٣- أصول التفكير النحوي : علي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٣م .
- ٤- الأصول في النحو العربي : أبو بكر محمد بن سهيل السراج (ت ٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ٥- إعجاز القرآن : أبو بكر محمد الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م .
- ٦- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج : تح: إبراهيم الإبياري، المؤسسة المصرية العمدة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .
- ٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م .
- ٨- بدائع الفوائد : الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: علي بن محمد العمران، ط١، عالم الفوائد، ٢٠٠٤م .
- ٩- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين أبو عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م .
- ١٠- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، تح: د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .
- ١١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- ١٢- البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني) : د. تمام حسان، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب، ٢٠٠٢م .
- ١٣- تأويل مشكل القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- ١٤- التأويل النحوي في القرآن الكريم : عبد الفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- ١٥- التراكيب اللغوية في العربية : د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م .
- ١٦- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تح: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط١، (د - ت) .
- ١٧- الجملة العربية تأليفها وأقسامها : د. فاضل السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ١٨- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي) : شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا .
- ١٩- الخصائص : ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- ٢٠- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) : د. محمد أبو موسى، دار التضامن، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م .

- ٢١- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- ٢٢- الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ)، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٢م .
- ٢٣- شرح الكافية الشافية : جمال الدين أبو عبد الله بن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، (د - ت) .
- ٢٤- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د-ت) .
- ٢٥- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
- ٢٦- الكتاب معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م .
- ٢٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م .
- ٢٨- لسان العرب : ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م .
- ٢٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن أثير (ت٦٣٧هـ)، تح: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- ٣٠- المجتبي : أبو بكر بن دريد (ت٣٢١هـ)، طبع د. محمد عبد المعيد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .
- ٣١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : القاضي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ٣٣- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة : علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي (ت٤٥٨هـ)، تح: د. عائشة عبد الرحمن، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٨م .
- ٣٤- معاني القرآن : أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ)، تح: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م .
- ٣٥- نتائج الفكر في النحو : أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ)، تح: محمد إبراهيم البناء، دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- ٣٦- نحو القرآن : عبد الستار الجواربي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .
- ٣٧- النكت في إعجاز القرآن : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، ود. محمود زغلول، ط٣، القاهرة، ١٩٥٦م .

أحيانا	نادرا